

قراءة رشيدة لمقالي علي الكواري: الوعي السياسي وعُقدة الانتخابات**

د. سمير عبد الرحمن الشميري

أستاذ علم الاجتماع السياسي - جامعة - عدن

*** تمهيد :-**

بداية تخالجي رغبة عارمة في توجيه تحية حارة للدكتور علي خليفة الكواري ، الذي وضع أصبعه على الجرح وتميز ببسالة فكرية عندما بسط يده على موضوع مؤرق وملح يصب في مجرى الديمقراطية والانتخابات والدستور والتعديلات الدستورية التي تلامس السطوح ولا تجد طريقها إلى النور .

الأستاذ / علي خليفة الكواري تنهشه الرغبة الحقيقة والصادقة في تغير الواقع وتجاوز عقدة الديمقراطية والانتخابات واستطاع أن يضع بصمته في المقاليتين وفي سياقات سلسلة ومتلاحمة ، لقد كان أليياً في سرده لبوادر الوعي السياسي في قطر ١٩٥٠م- ١٩٧٠م .

ولا أبوح سراً إن قلت ، أني قرأت المقاليتين " بوادر الوعي السياسي في قطر ١٩٥٠-١٩٧٠م " ، و " عقدة الانتخابات " ، بنهم منقطع النظير لما تضمنته المقاليتين من عرض ورحابة في التفسير ومن غذاء فكري وممتع في العرض والتحليل فتها طلت أفكار هادئة ومفيدة بمنأى عن الرتابة والسماجة الفكرية ، فأزاحت من أذهاننا كومة من التشويش والضباب الكثيف ومدتنا ببصيرة واضحة عن بوادر الوعي السياسي القطري ومراحل تطور النظام السياسي المؤقت في الشقيقة قطر .

ولعني لا أجنب الصواب إن قلت - إن موضوع الوعي السياسي والانتخابات والتعديلات الدستورية ، من المواضيع الساخنة في عالمنا اليوم ولها رنين أنيق في عقولنا وأفئدتنا وتمس أخطر قضايا الساعة .

**أنظر المقالين والبحث الكامل الذي أشتق من المقالات علي موقع الدكتور علي خليفة الكواري

الوعي السياسي http://dr-alkuwari.net/sites/akak/files/q_political_awareness_bwdrlwy_lsystfy_qtr1950.pdf

عقدة الانتخابات(قرأه تاريخية للنظام الأساسي)

http://dr-alkuwari.net/sites/akak/files/q_historical_reading_qr_trykhyllnzm_lssy_fy_qtr.pdf

البحث الكامل:- http://dr-alkuwari.net/sites/akak/files/q_state_of_demo_hl_ldymqrty_fy_qtr_m_lmlhq.pdf

أولاً : بداية الوعي السياسي القطري :-

المقالة الأولى ثرية بمضمونها وملاحظاتها حيث وضع د. علي خليفة الكواري يده على بواكر الوعي السياسي القطري بإشارات نابهة ومكثفة وتشمل هذه المرحلة من عام ١٩٤٩م- ١٩٦٣م . حيث وأسجل اغتباطي بما ورد في المقالة من معلومات قيمة لنا كنا نجهلها في السابق وشكلت غذاء فكري دسماً لمعارفنا وعقولنا .

ولقد كانت قراءته رشيدة للمشهد الثقافي والتنويري في قطر حيث أكد أن بداية : (الوعي السياسي الحديث في قطر (بزغ) مع بداية عصر النفط فيها ، عندما تحولت الإدارة التقليدية إلى نمط من الإدارة الحديثة بعد تصدير النفط عام ١٩٤٩م، وتغير الحاكم وتعيين مستشاراً بريطانياً على رأس الإدارة العامة) .

وبخطوات عريضة ورشيقة ينتقل د. علي خليفة الكواري إلى مطالب الأهالي بالمشاركة في القرار وبنصيب من دخل النفط وحسن استخدام عائداته للصالح العام ...

ووقف د. الكواري في غير استطراد في تتبع نمو الوعي السياسي الذي كان متواكباً مع انخراط القطريين للعمل في شركة نفط قطر وفي الحكومة وتقدموا بمطالب نقابية ووطنية منذ عام ١٩٤٦م . وفي قلب هذا التوهج تناسلت التجمعات العمالية والجمعيات الإسلامية والاجتماعية وانخرط القطريين بقوة للمشاركة في الشأن الوطني والقومي هذا ما بينه د. علي خليفة الكواري بصورة متدرجة وبغير تكلف أو تصنع في لغته وأفكاره ، على النحو التالي :-

- ١٩٥٠م - بدأت التجمعات النقابية الوطنية القطرية .

- ١٩٥٥م - تأسست الجمعية الإسلامية وظهرت تجمعات اجتماعية من مختلف القبائل والعائلات القطرية .

- ١٩٥٦م - مظاهرات مؤيد لمصر وضد العدوان الثلاثي على مصر .

- ١٩٦٣م - مظاهرات مؤيدة للثورة الجزائرية مرفقة بإضرابات عمالية وتجمعات جماهيرية .

وقبل ذلك بقليل ظهرت " منظمة التاكسي " لحماية مالكي السيارات من الابتزاز ومضايقتهم في لقمة عيشهم من قبل بعض كبار التجار والمقاولين والطفيليين .

ولقد كان جواداً في قراءته للمشهد الثقافي القطري وتتبعه النابه لمسألة تشكل الأندية الثقافية القطرية والأحزاب السياسية بـ:

١- نادي الطليعة (١٩٥٩م) ، والذي تعرض لمحنة خطيرة بسبب نشاطه الثقافي الذي يتقاطع مع فكر ومنهج أهل القرار (بما طرحه من نقد من خلال مسرحه ومجلته الشهرية حتى أغلق وزج ببعض أعضائه في السجن وحظر انتساب أعضائه إلى الأندية منذ عام ١٩٦١م) .

٢- نادي الجزيرة . ٣- فرقة الأضواء . ٤- نشوء الأحزاب السياسية .

لقد حركت الأندية الثقافية والأحزاب السياسية الجماهير القطرية التي تهفو للمشاركة الشعبية في صنع القرار وتكوين المجالس البلدية والاستشارية المنتخبة شعبياً وبطرق ديمقراطية ، ولقد أفضى الحراك الثقافي والسياسي والوطني إلى :-

(تقديم عريضة الحركة الوطنية ذات المطالب الاجتماعية والسياسية الشاملة ، في مارس ١٩٦٣م ، والتي ترتب عليها اعتقال العشرات من أهل قطر وإبعاد بعضهم من البلاد) .

- أهجس أن الدكتور / علي خليفة الكواري لو مد بصره قليلاً وانخرط في سؤال:

الوعي السياسي ومعضلاته لأنتج نصاً رصيناً تضاف إلى محمود خصاله ..

ولست بحاجة إلى التساؤل :-

١- ماهو الوعي السياسي ؟

٢- ما سمات الوعي السياسي القطري ؟

٣- ما عثرات الوعي السياسي القطري ؟

٤- هل الوعي السياسي شأن خاص بالخب السياسية ؟ أم شأن عام ؟

وكيف نفرق بينهما !!؟

٥- هل توجد طبقة عاملة في قطر أم ثمة شرائح عمالية لا ترتقي إلى مستوى

الطبقة ؟

٦- هل ولادة الوعي السياسي كان متواكباً مع ولادة المجتمع المدني الحديث

في قطر !!؟

٧- وما صلة الوعي السياسي بالحراك المدني !!؟

وأكد أجزم أن الوعي السياسي في قطر فيه ما يشبه الوعي السياسي في اليمن:-

- الوعي السياسي بوجه عام لا زال متدنياً ، ويتجلى ذلك في عشوائية المواقف الانتقائية الشديدة

في ممارسة الحياة السياسية ، وفي المشاركة في الفعل السياسي الحقيقي ، ففقد الرأي

والفعاليات السياسية يتعاملون بموسمية مع الجماهير حسب درجة ارتفاع وانخفاض حرارة

الطقس السياسي ، وهذا يلقي بضلاله على الجماهير والتي في أحايين كثيرة تفقد بوصلة التمييز

ولا تعرف طريقها فتالتبس الأمور لديها ويضيع الطريق من بين أقدامها بعيداً عن قسطاس

الحكمة والتبصر في زحمة الأفكار المصطرعة بالمشاعر والأحاسيس والعواطف والعلاقات

القلبية والعشائرية ورابطة الدم هي الشاخصة في الفعاليات السياسية والمدنية في المجتمع وفي

غير مكان تكون الشعارات الحماسية والخطب المنبرية والانفعالات هي المتحكمة في العقل

السياسي في وقت يغيب فيه الوعي السياسي الرشيد الذي يرشد الناس إلى الصواب و يجنبهم الوقوع في الأمل والأخطاء الفاحشة المسالك الزاخرة بالمعاطب.

فمن أول أولويات الحراك الديمقراطي الوعي السياسي الصائب الذي يغير جغرافية العقل ويساعد على تجديد شرايين الحياة السياسية والاجتماعية الاقتصادية ويغرس شتلات المعرفة والتنوير وينشر قيم الحرية والديمقراطية والحوار و الاستنارة ويحمل فأس التغيير الديمقراطي والانتخابي في مسلك وجيه ومقنع لا يتربص به الزلل.

ثانياً:- عُقْدَةُ الانتخابات :-

الديمقراطية ثوب قشيب تلبسه الأنظمة بما فيها الدكتاتورية ، فوق قطار الديمقراطية تسلفت النخب والأنظمة الاجتماعية وحولتها بعض الأنظمة إلى مهرجانات وصخب وضوضاء وجوائز واحتفالات ونياشين وهرطقة كلامية وطمطم خالية من المضمون .

فلا يصبح النظام ديمقراطياً بمجرد أن ينص دستوره على : الديمقراطية ، والانتخابات ، البرلمانية والرئاسية والشعب مصدر السلطات ، والتداول السلمي للسلطة ، وفصل السلطات وحرية الرأي والعقيدة والتعديلات الحزبية والسياسية وحكم الأغلبية ... الخ .

فالديمقراطية ثقافة وقناعة وممارسة حكيمة للسلطة ومسلك قويم في الفضاء العام من أجل الشعب ولصالح الشعب وتنافس شريف ومسؤولية اجتماعية وأخلاقية يتخلى فيها الحكام عن نوازهم الذنبية والغرائزية لصالح الأمة التي تكون مصدر السلطة ، تنتخب الأختيار وتزيح الأشرار من سدة الحكم ومن خلالها يتم التناوب السلمي للسلطة في ملعب ديمقراطي متحضر ، وتتساقق الديمقراطية بمعارضة قوية تعقلن الشطحات وتكبح النزعات الضارة ويصب نشاطها في مجرى الحراك الديمقراطي التكاملي المؤدي للنماء والاستقرار السياسي والاجتماعي والمعيشي وتطور البني والمؤسسات والحقوق والحريات العامة وانشاق المعرفة وتوسع أفق الحياة وتنقل الصراع السياسي من حلبة العنف والاحتراب إلى حلبة الحوار والتفاهم والمشاركة والتسامح واحترام الرأي والرأي الآخر والأقلية وحرية الاختيار والعقائد والعادات والتقاليد والتعددية السياسية والاجتماعية مما يؤدي إلى تعضيد المجتمع وصد التبرعات والتغلب على دواعي الإحباط واليأس .

لقد شعرت بنشوة غامرة وأنا أقرأ مراحل تطور النظام الأساسي في قطر ، بدءاً بالنظام الأساسي المؤقت ، الذي صدر قبل الاستقلال بستة أشهر (٢ / ٤ / ١٩٧٠م)

حيث أكد النظام الأساسي أن النظام في قطر " ديمقراطي " ، ثم مرحلة النظام الأساسي المؤقت المعدل لعام ١٩٧٢م ، فالنظام المعدل لعام ١٩٧٢م ، حسب تعبير د. علي خليفة الكواري (الغي ما وعد به النظام المؤقت لعام ١٩٧٠م ، وجاء بمبدأ الانتخاب السري المباشر واعتبر التعيين لمدة عام واحد استثناء ولكنه تخلى عن وعده الصريح والمحدد المواعيد بإجراء

اقتراع عام سري لأعضاء مجلس الشورى ، فثبت مبدأ تعيين أعضاء مجلس الشورى المعمول به حتى الوقت الحاضر) ، وهنا تكمن المعضلة ، معضلة عُقدة الانتخابات والتي لو تم تجاوزها وطبقت الانتخابات على أرض الواقع لشكلت خطوة نجبية في إيقاع الحياة اليومية ولأحدثت حراكاً ديمقراطياً مثمراً يؤدي إلى تطوير أفق المجتمع والنظام السياسي وتصب في قالب الإصلاحات الحقيقية الهادفة إلى تجاوز الكابح والموصدات وتثبيت دعائم الأُحمة الوطنية .
وأخيراً ماذا يريد الأستاذ المفضل / علي خليفة الكواري من مقاله " عُقدة الانتخابات "؟؟ هل هو من هواة الاصطياد في الماء العكر !!؟

أم أنه يريد ديمقراطيه وحرية جامحة بلا حدود ؟ أم أنه يريد تثبيت وعي مغلوط عن الحرية والانتخابات والنظم الديمقراطية ؟ أم أنه يريد مزيداً من الاحتراب والتشطي المجتمعي ؟ أم أنه من المشغوفين بالهرطقة اللسانية والخلخلة الفكرية والتنازع أُلقيمي ؟ أم أنه يوجه انتقادات طائشة وغير مسؤولة لنظام اجتماعي فوق النقد والشبهات !!؟

وأجد لزاماً علي أن أقول أن الأستاذ علي خليفة الكواري مشحون بقلق التغيير الدستوري والانتخابي والديمقراطي الشامل ، ومع التحولات الديمقراطية السلمية وفقاً للأعراف الديمقراطية التي لا تتجه صوب القشور الفيسفائية وتبتعد عن التهويم فوق السحاب .

إنه لا يتحدث برطانة غربية ولا بنغمة تشاؤمية ولا بلسان معسول ، إن صوته مفعم بالأمل في خلق ديمقراطية وانتخابات وتعديلات دستورية ومناخ للحرية تسود فيها السكينة والوئام المدني .

وغني عن البيان القول ، أن الأستاذ الدكتور / علي خليفة الكواري كان سلساً ورصيناً في أطروحاته ، بسط وقائع متجانسة ورجح كفة الانتخابات والحوار والسجال الهادف على الخيارات الأخرى ، إنه لم يخطئ .

لقد كنت موفقاً في أطروحائك يا دكتور علي خليفة الكواري :-

" ومن أكون أنا حتى أجزم أنك على خطأ " (جان بول سارتر) .

" فمن يريد الوصول إلى هدف بعيد عليه أن يخطو خطوات صغيرة " (هلموت شميت

(

فبراير ٢٠١٢

